خالد محمد القاضي

كتاب الراية

مولد أمة

أضواء على خلق "رسول الإنسانية"



مركز الراية للنشر والإعلام

خالد محمد القاضى

مولد أمة

« أضواء على خلق رسول الإنسانية »

مركز الراية للنشر والإعلام

سلسلة « كتاب الراية »
تصدر شهرياً عن مركز الراية

مركز الراية للنشر والإعلام
اسسها أحمد فكرى عام ١٩٩٤

اسم الكتاب : مولد أمة

المؤلـــف : خالد محمد القاضى

رقم الإيداع
٩٩/١٠٤٢١



« وإنك لعلى خلق عظيم »

صدق الله العظيم

إهـداء

إلى

روح فضيلة العارف بالله

الشيخ محمد أحمد رضوان

تقديراً لاجتهاده المخلص

في السيرة النبوية العطرة

و

إلى توأم والدي الروحي الذي لم تلده أمه ...

المستشار محمد راشد متولي

أهدي هذا الكتاب ..

خالد

مقدمة

هذه مكة تستقبل وليداً رضى به أهلهـا وعمهـم البشـر والسـرور... يتيماً صاحبت ولادته إرهاصات وإشارات إلى أن أمة جديدة قد ولدت ، سيتغير بها وجه التاريخ وسترتفع بهـا الإنسـانية، وترقـى وتزخـر بـالعلوم والمعارف، بعد أن سيطرت عليها البداوة، وفشت فيها الأخلاق الذميمـة، وتمكنت من قلوبها الخرافات والأساطير، واستعبدتهم الأوثـان ومـا يحيـط بها من أوهام فدانوا بها وخضعوا لعادات وتقاليد وأخلاق غير مرضية بل كانت مردية.

فجاءت ولادة هذا اليتيم نوراً أضـاء حيـاتهم واهتـدت بـه أفئدتهـم، عاش بينهم فى طهر ونقاء وصفاء.

ذالكم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، ولـدت بولادتـه أمـة تخلت بقيادته عـن الفرقـة والشـتات والخصـام والاقتتـال إلى وحـدة تقـود وتسود.

جاء هذا المولود الكريم داعياً إلى الله على فترة مـن الرسـل فكـان دينـه الإسلام دعوة للسلام والرحمة والوئام، يشيع كل ذلك فى أقواله وأفعاله، فهو دعوة لعطف الآباء على الأبناء وحث للأبنـاء علـى الـبر بالآبـاء حتـى تكـون الأسرة وحدة صالحة في المجتمع يقوى بها، ويشتد عوده، وترتفـع فيـه دعـوة الحق والعدل والتعاطف والتساند فى الملات وفى العبادة. كانت دعوته إليهـا

رفقاً فالدين يّسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، وإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، كانت دعوته أمناً وأماناً، محذرة محرمة للغدر والخيانـة، داعيـة إلى السـلم والسـلام والتسـامح والصفـاء فهـو بأمتــه رؤف رحيــم يخفـف آلام المصابين، يعود المريض ويواسى الحزين ويأسو الجراح، فهو رفيق بالإنسان بل وبالحيوان، قال اللـه تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [1]

ولقد تواصلت سيرته ومسيرته تتذاكرها أمته، فله فى كل ربيع مولـد وعلى كل فم وقلم ذكر وفى كل قلب سليم مكان، كيف لا وذكره أمـر من اللـه سبحانه وتعالى مقرونـاً باسمـه جـل وعـلا، فهـذه كلمـة التوحيـد التامة : (أشهد أن لا إله إلا اللـه وأشهد أن محمداً رسول ا لله).

وهذا هو ربه كرمه وأمر بـالصلاة عليـه فقـال : (إن اللــه وملائكتـه يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) [2]

جاء بالإسلام ديناً ألف به بين القبائل المتنازعة فكـان ولادة أمـة بعـد الأيام المروعة والعادات المفزعة التى اتخذت من العرف دولة، ومن الجاهلية حضارة ومن الضعف قوة وغلبة وعزة.

كان أمياً علمه اللـه وأعز له إلا من حمايـة ا لله، قـال تعـالى : (واللــه يعصمك من الناس) [3].

---

(١) سورة الأنبياء الآية ١٠٧

(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٦

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧

لقد استجاب لدعوته صنوف من الناس اختلفت منهم الصفات والطباع، يختلفون فى الرأى ولكنهم عند الحق يلتقون وصدق الله.

وإن ميلاد سيدنا رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم كان مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة.. فبدل شرك الناس توحيداً وظلمهم عدلاً وظلامهم نوراً وهداية فقد أرسله الله تعالى للناس كافة هادياً ومبشراً قال تعالى : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه وسراجا منيراً) [1] .

ومحمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين ذكى الله لسانه فقال : (وما ينطق عن الهوى) [2] وزكى الله قلبه فقال : (ما كذب الفؤاد ما رأى) [3] وذكى بصره فقال : (ما زاغ البصر وما طغى) [4] وزكاه كله فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم) [5] وصدقت عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم إذ قالت : (كان خلقه القرآن) واستطاع صلى الله عليه وسلم بخلقه أن يغزو الأراضين فدانت له من أدناها إلى أقصاها.

---

(١) سوورة الأحزاب الآية ٤٥ و ٤٦

(٢) سورة النجم الآية ٣

(٣) سورة النجم الآية ١١

(٤) سورة النجم الآية ١٧

(٥) سورة القلم الآية ٤

وفى هذا الكتاب نلقى أضواء علـى خلـق رسـول الإنسـانية "محمـد" صلى اللـه عليه وسلم من خلال ثمانية فصول :

الفصل الأول : نسبه صلى اللـه علية وسلم وولادته ورضاعته.

الفصل الثانى : خلق الرسول صلى اللـه عليه سلم قبل البعثة.

الفصل الثالث : اشتراكه صلى اللـه عليه وسلم فى بناء الكعبة

الفصل الرابع : اختلاؤه فى غار حراء.

الفصل الخامس : محمد وآل بيته.

الفصل السادس : زهد محمد.

الفصل السابع : محمد وأصحابه.

الفصل الثامن : محمد وأعدائه.

وا لله أسأل أن يكون هـذا العمـل خالصـاً لوجهـه تعـالى، ومحبـةً فـى رسول اللـه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

خالد محمد القاضى

وكيل أول النيابة

بمكتب النائب العام

القاهرة فى ربيع الأول ١٤٢٠هـ

الفصل الأول

نسبه صلى اللـه عليه وسلم وولادته ورضاعته

١- هو محمد بن عبد اللـه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن فزار بن معد بن عدنان. وعدنان من ولد إسماعيل نبى اللـه ابن إبراهيم خليل اللـه عليهم السلام.

وقد اختاره اللـه تعالى من أزكى القبائل وأفضل البطون وأطهر الأصلاب فما تسلل شئ من أدران الجاهلية إلى شئ من نسبه صلى اللـه عليه وسلم.

روى مسلم بسنده عن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أنه قال : (إن اللـه اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى هاشماً من قريش واصطفانى من بنى هاشم).

٢- أما ولادته صلى اللـه عليه وسلم فقد كانت فى عام الفيل وهو العام الذى حاول فيه أبرهة الأشرم غزو مكة وهدم الكعبة فرده اللـه عن

ذلك بالآية الباهرة التى وصفها القرآن وكانت على الأرجح يوم الإثنين لإثنتى عشرة ليله خلت من شهر ربيع الأول.

٣- وقد ولد يتيما فقد مات أبوه عبد اللـه وأمه حاملة لشهرين فحسب فعنى به جده عبد المطلب واسترضع لـه - على عادة العرب إذ ذاك - امراة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة بنت أبى ذؤيب.

وقد أجمع رواة السيرة أن بادية بنى سعد كانت تعانى إذ ذاك سنة مجدبة قد جف فيها الضرع وييس الزرع، فما هو إلا أن صار محمد صلى اللـه عليه وسلم فى منزل حليمة واستكان إلى حجرها وثديها حتى عادت منازل حليمة من حول خبائها ممزعة خضراء فكانت أغنامها تروح منها عائدة إلى الدار شباعا ممتلئة الضرع.

٤- وقد حصلت أثناء وجوده صلى اللـه عليه وسلم فى بادية بنى سعد حادثة شق الصدر التى رواها مسلم [1] وتعد هذه الحادثة من ارهاصات النبوة ودلائل اختيار اللـه إياه لأمر جليل وقد رويت هذه الحادثة بطرق صحيحة وعن كثير من الصحابة، منهم أنس بن مالك فيما يرويه عن مسلم فى صحيحه : (أن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فضرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه، فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله فى طست من

---

(١) راجع قصة استرضاعه فى بادية بنى سعد وخبر شق صدره فى سيرة ابن هشام ١٦٤/١ وأنظر صحيح ج١ ص ١٠١ و ١٠٢

ذهب لماء زمزم ثم أعاده إلى مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه. مرضعته - ينادون أن محمداً قد قتل فاستقبلوه وهو ممتقع اللون).

٥- ليست الحكمة من هذه الحادثة - والله أعلم - استئصال غدة الشر فى جسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ لو كان الشر منبعه غدة فى الجسم أو علقة فى بعض أنحائه لأمكن إن يصبح الشرير خيراً بعملية جراحية، ولكن يبدو أن الحكمة هى إعلان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم وتهيؤه للعصمة والوحى منذ صغره بوسائل مادية ليكون أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته. إنها إذاً عملية تطهير معنوى ولكنها اتخذت هذا الشكل المادى الحى ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهى بين أسماع الناس وأبصارهم.

الفصل الثانى

خلق الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

١- كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة حياة فاضلة شريفة... لم تعرف له فيها هفوة ولم تحص عليه فيها زلة.. لقد شب رسول الله يحوطه الله سبحانه وتعالى بعنايته ويحفظه من أقذار الجاهلية لما يريده له من كرامته... ورسالته حتى صار أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والأخلاق التى تدنس الرجال تنزهاً له وتكرماً.

٢- ولقد كان فى المجتمع العربى حنيفيون وحدوا الله ودعوا إلى توحيده وكان هناك كرماء أوفياء وكان هناك من عرفوا بالعفة وطهارة الذيل والبعد عن المآثم والتنزه عن الفواحش، ولكن كان عزيزاً جداً أن تجد فى هذه البيئة إنساناً جمع الله فيه كل هذه الصفات وغيرها مثل ما جمع فى النبى محمد صلى الله عليه وسلم. فقد كان يمتاز على كل من يعيشون فى بيئته بطابع خاص، لا يشاركه فيه غيره، هو طابع الكمال فى كل شئ، ذلك أن الله جلت قدرته تولاه منذ طفولته بالحفظ والصيانة

فعصمه من عبث الجاهلية وفسادها وطهـره مـن أدرانهـا وخبائثهـا وكـان صورة ماثلـة للكمـال... ونموذجـاً حيـاً للفضيلـة فـى كـل مـا يـأتى ومـا يدع... إذ كان شاباً فيه حماسة الشباب ودوافعه ونزعاته ولكنـه لم يكـن يتنزل إلى ما يتنزل إليه الشباب من عبث ولهو ولم يكن يرضى لنفسه أن يهبط إلى المستوى الذى يدنس الرجولة أو ينافى الكرامة.. كان فى مكة بيوت كثيرة للهو فيها الخمر والميسر وفيهـا الغنـاء والسـمر وفيهـا العبث والمجنون وفيها كـل مـا يرضـى جمـوح الشـباب مـن لـذة ومتـاع، وكـان للشباب فى تلك البيوت مـآرب شتى تهفـو إليهـا نفوسـهم وتسـعى لهـا أرجلهم إلا محمد بن عبد اللـه صلى اللـه عليه وسلم فقد عزف بطبعه عن كل ذلك وتعالى بنفسه عن مواطن الريبة ومواضـع الخسـة، فمـارئى يومـا قط لاهياً ولا عابثاً ولا أثماً ولا فاحشاً ولا معاقراً خمراً ولا قمراً [1]

ولامتدنسا فى نزوة من نزوات الشباب الجامحـة كـالجرى وراء الغيـد الكواعب [2] بل كان سمته الجد والعفاف.

٣- قال صلى اللـه عليه وسلم فيما يرويه عن نفسه :

(ما هممت بشئ مما كانوا فـى الجاهليـة يعملونـه غـير مرتـين.. كـل ذلك يحول اللـه بينى وبينه، ثم ما هممت به حتى أكرمنى اللـه بالرسـالة، قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة لو أبصـرت لى غنمـى حتـى

---

(١) قمراً : القمار.

(٢) العيد الكواعب : البنات الحسان.

أدخل مكة وأسمر بها كما يسمر الشباب، فقال : أفعل، فخرجت حتى إذا كنت عند أول دار بمكة سمعت عزفا فقلت : ما هذا ؟ فقالوا عرس فجلست أسمع، فضرب الله على أذنى فنمت فما أيقظنى إلا حر الشمس، فعدت إلى صاحبى فسألنى فأخبرته، ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ودخلت مكة فأصابنى مثل أول ليلة، ثم ما هممت بعده بسوء) [1]
صدق رسول الله.

فهذا الحديث يعبر عن حفظ الله لرسوله من كل سوء منذ صغره وصدر شبابه ونستطيع أن نستخلص منه حقيقتين :

الأولى : أن النبى صلى الله عليه وسلم كان متمتعا بخصائص البشرية كلها وكان يجد فى نفسه ما يجده كل شاب من مختلف الميولات الفطرية التى اقتضت حكمة الله أن يجبل عليها لناس، فكان يحس بمعنى السمر واللهو، ويشعر بما فى ذلك من متعة وتحدثه نفسه لو تمتع بشئ من ذلك كما يتمتع الآخرون.

الثانية : أن الله عز وجل قد عصمه مع ذلك عن جميع مظاهر الانحراف وعن كل مالا يتفق مع مقتضيات الدعوة التى هيأه الله لها، فهى حتى عندما لا يجد لديه الوحى أو الشريعة التى تعصمه من الاستجابة لكثير من رغائب النفس، يجد عاصماً آخراً خفياً يحول بينه

(١) رواه ابن الأثير ورواه الحاكم عن على بن أبى طالب وقال عنه صحيح على شرط مسلم ورواه الطبرانى من حديث عمار بن ياسر.

وبين ما قد تتطلع عليه نفسه مما لا يليق بمن هيأته الأقدار لتتميم الأخلاق وإرساء شريعة الإسلام.

وفى اجتماع هاتين الحقيقتين لديه صلى الله عليه وسلم دليل واضح على أن ثمة عناية إلهية خاصة تسيره وتأخذ بيده بدون وساطة الأسباب العادية كوسائل التربية والتوجيه.... ومن ذا الذى يوجهه فى طريق هذه العصمة وكل الذين حوله من أهله وبنى قومه وجيرانه غرباء عن هذا الطريق ضالون عن هذه الوجهة ؟.

لا جرم إذاً أن هذه العناية الإلهية الخاصة التى جعلت لشباب النبى محمد صلى الله عليه وسلم طريقاً دقيقاً من النور يمخر عباب ظلام الجاهلية، من أعظم الآيات الدالة على معنى النبوة التى خلقه الله لها وهيأه لحمل أعبائها وعلى أن معنى النبوة هو الأساس فى تكوين شخصيته واتجاهاته النفسيه والفكريه والسلوكيه فى الحياة.

وكان من اليسير أن يولد الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وقد انتزعت من نفسه كل هذه الدوافع الغريزيه إلى التمتع بالشهوات والأهواء، فلا يجد فى نفسه ما يدفعه أصلاً إلى ترك أغنامه أمانة عند زميله ليهبط إلى بيوت مكة فيبحث بينها عن قوم يسمرون أو يلهون ويمرحون. لكن الرسول كان يتفرد بصفات أخلاقية سامية فريدة، وإذاً فليس ثمة ما يدل على العناية الخفية التى تصرفه عما لا يليق رغم وجود الدوافع الغريزيه نحوه، وإنما أرادت حكمة الله عز وجل أن يبتدى للناس من هذه

العناية الإلهية بالرسول الكريم ما يسهل عليهم أسباب الإيمان برسالته ويبعد عن أفكارهم عوامل الريب فى صدقه.

٤- أما عن عقيدته صلى الله عليه وسلم فقد نشأ سليم العقيدة صادق الإيمان عميق التفكير غير خاضع لترهات [١] الجاهلية فما عرف عنه أنه سجد لصنم قط أو تمسح به أو ذهب إلى عراف أو كاهن بل بغضت اليه عبادة الأصنام والتمسح بها فلم يحلف "باللات والعزى" [٢] ولم يتمسح بالصفراء [٣] ولم يتوسل إلى "إساف ونائلة" [٤] كما كانوا يفعلون وكذلك بغض إليه صلى الله عليه وسلم قول الشعر فلم يعرف عنه أنه قال شعراً أو أنشأ قصيدة لأن ذلك لا يتلاءم ومقام النبوة وصدق الله تعالى حينما قال : (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) [٥].

٥- كان طابعه صلى الله عليه وسلم الوقار والكمال مع سماحة فى الطبع وطلاقة فى الوجه وحلاوة فى اللسان جعلته محبباً إلى كل من يعاشره أو يحادثه أو يلقاه.

---

(١) ترهات ٠ جهالات.

(٢) اللات والعزى آلهة الكفر والضلال.

(٣) الصفراء صنم الكفر والجهالة

(٤) إساف ونائلة . صنم من النحاس

(٥) سورة يس من الآية ٦٩

وعرف له أهل مكة هذا السمت [1] الوقور وهذا الخلق الرضى فأحبوه وأكبروه ووصفوه بأحسن ما يمكن أن يوصف به إنسان من صفات الكمال... فلقبوه بالأمين وأصبح هذا اللقب وصفاً مميزاً له دون غيره حتى صار علماً عليه لا ينادى ولا يذكر إلا به، فقد عرفوه منذ نشأ فيهم وهو الصادق الذى لا يكذب والوفى الذى لا يغدر والناصح الذى لا يغش والأمين الذى لا يخون كما عرفوه طاهر النفس واسع الحلم رحيم القلب جم التواضع وعرفوا فيه كرم العشرة وحسن الجوار ورجاحة العقل... وعلو الهمة والزهد فيما يتكالب الناس عليه من متاع زائل ولمسوا فيه الخير كل الخير، ذلك كله هو ما دعا خديجة رضى الله عنها وأرضاها إلى أن تدعو محمداً زوجاً لها.

٦- كانت خديجة كما يروى ابن الأثير وابن هشام - امراة تاجرة ذات شرف ومال تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم إياه بشئ تجعله لهم منه، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الحديث وعظم الأمانة وكرم الأخلاق، أرسلت إليه ليخرج فى مالها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره ومعه غلامها ميسرة، وقد قبل محمد صلى الله عليه وسلم هذا العرض فرحل الى الشام عاملا فى مالها ومعه ميسرة فحالفه التوفيق فى هذه الرحلة أكثر من غيرها وعاد الى خديجة بأرباح مضاعفة، فأدى لها ما عليه فى أمانة تامة ونبل عظيم

---

(١) السمت : الطابع المميز

ووجد ميسرة من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم وعظيم أخلاقه ما ملأ قلبه، دهشة له، وإعجاباً بـه فروى ذلك لخديجة. فأعجبت خديجة بعظيم أمانته ولعلها دهشت لما نالها من البركة بسببه فعرضت نفسها عليه زوجة بواسطة صديقتها... (نفيسة بنت منية) فوافق النبى صلى الله عليه وسلم وكلم فى ذلك أعمامه فخطبوها لـه من عمها (عمرو بن أسد) وتزوجها صلى الله عليه وسلم وقد تم له من العمر خمسة وعشرون عاماً ولها من العمر أربعون.

وعمله صلى الله عليه وسلم فى مال خديجة استمرار لحياة الكدح الذى بدأه برعى الأغنام، ولخديجة فضل ومنزلة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم، فلقد ظلت لخديجة مكانة سامية عند رسول الله طيلة حياته. وقد ثبت فى الصحيحين أنها خير نساء زمانها على الإطلاق. روى البخارى ومسلم أن علياً رضى الله عنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد" [1]. وروى البخارى ومسلم أيضاً عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : (ما غرت على نساء النبى صلى الله عليه وسلم إلا على خديجة وإننى لم أدركها، قالت : "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذبح الشاة فيقول أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت :

---

(١) الضمير فى نسائها عائد – كما تدل رواية مسلم – إلى السماء بالنسبة لمريم وإلى الأرض بالنسبة لخديجة. وقال الطيبى : الضمير الأول راجع الى الأمة التى كانت فيها مريم، والثانى إلى هذه الأمة، وانظر فتح البارى. ٩١/٧

فأغضبته يوما فقلت : خديجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني قد رزقت حبها" [1] .

وروى أحمد والطبراني من طريق مسروق عن عائشة قالت : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها فذكرها يوماً من الأيام، فأخذتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً قد أبدلك الله خيراً منها ؟. فغضب ثم قال: (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها : آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء).

---

[1] متفق عليه واللفظ لمسلم.

الفصل الثالث

اشتراكه صلى الله عليه وسلم فى بناء الكعبة

١- الكعبة أول بيت بنى على اسم الله ولعبادة الله وتوحيده فيه، بناه أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام بعد أن عانى من حرب الأصنام وهدم المعابد التى نصبت فيها، بناها بوحى من الله تعالى وأمر له بذلك (وإذ يرفع إبراهيم القواعد فى البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم) [١] .

٢- ولقد شارك رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة فى بناء الكعبة وإعادة تشييدها مشاركة فعالة، فلقد كان ينقل الحجارة على كتفه ما بينها وبينه إلا إزاره وكان له من العمر إذ ذاك خمس وثلاثون سنة فى الأصح. وروى البخارى فى صحيحيه من حديث جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : لما بنيت الكعبة ذهب النبى صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبى صلى الله عليه وسلم: اجعل ازارك على رقبتك، فخر إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال : أرنى إزارى فشده عليه.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٧

٣- وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن الإسلام إذا كان قد قضى على عبادة الأصنام بصورة جزئية فإذا به يقرر هذه العبادة على نطاق أوسع إذ أن كل ما فعله هو أن جمع الأصنام فى حجر واحد هو الكعبة. وقد نهى الناس عن عبادة الأصنام المفردة ويدعوهم بعد ذلك إلى العبادة الجامعة وأن الرسول قد اشترك في ذلك إذ أن له دوراً فى هذا التجميع بصورة فنية دقيقة.

غير أننا نستطيع الرد على هؤلاء الدعاة المضللين بأنه ليس للكعبة تأثير على الطائفين حولها أو العاكفين فيها فهى على ما لها من قداسة ووجاهة عظيمة عند الله حجارة لا تضر ولا تنفع، ولكن الله عز وجل لما أمر إبراهيم عليه السلام بتكسير الاصنام والطواغيت وهدم بيوتها والقضاء على معالمها ونسخ عبادتها اقتضت حكمته عز وجل أن يشيد فوق الأرض بناء يكون شعاراً لتوحيد الله وعبادته وحده ويظل مع الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام.

هذا البيت يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا يخضع ولا يذل إلا لخالق الكون له، وإذا كان لابد للمؤمنين بوحدانية الله والداخلين فى دينه من رابطة يتعارفون بها، ومثابة يؤوبون إليها، مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم واختلفت لغاتهم وأجناسهم، إذا كان لابد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذى أقيم رمزاً لتوحيد الله ورداً على باطل الشرك

والأصنام، من أن يكون هو الرابطة وهو المثابة لهم جميعاً، يتعارفون فى حماه ويلتقون على الحق الذى شيد ليكون تعبيراً عنه فهو الشعار الذى يجسد وحدة المسلمين فى أقطار الأرض، ويعبر عن توحيد الله والعبادة له وحده مهما أقيم من آلهة زائفة وانتصب من متألهين باطلين على مر الأزمنة والعصور.

وهذا هو المعنى المستفاد من قوله تعالى : (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) [1] وهذا هو المعنى الذى يلحظه الطائف بالبيت الحرام، بعد أن يملأ قلبه من معنى العبودية لله تعالى والقصد إلى تحقيق أوامره ومن حيث أنها أوامر ومن حيث أنه عبد مكلف بتلبية الأمر وتحقيق المأمور به ومن هنا جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله.

٤- ولعلنا نذكر ما كان له صلى الله عليه وسلم من أثر كبير فى حل المشكلة التى تسببت عن اختلاف القبائل حول من يستحق أن ينال شرف وضع الحجر الأسود فى مكانه فقد خضع جميعهم لاقتراحه الذى أبداه حلاً للمشكلة علماً منهم بأنه الأمين والمحبوب من الجميع.... ويتمثل حله لتلك المشكلة بأن قال : (هلموا إلى ثوب) فجاءوه بالثوب فأخذ الحجر فوضعه فى وسط الثوب ثم قال : (لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً). فأشرك بذلك كل الأطراف المتنازعة.

---

(١) سورة البقرة الآية ١٢٥

وينبغى أن نحيل هذه المزية فيه عليه الصلاة والسلام إلى ما اختاره الله له من القيام بعبء الرسالة والنبوة، قبل أن نحيلها إلى العبقرية التى جبل عليها والذكاء الذى فطر عليه، فالأساس الأول فى تكوينه صلى الله عليه وسلم أنه رسول ونبى ثم تأتى المزايا الأخرى كلها من عبقرية ودهاء وذكاء مبنية على هذا الأساس ولاحقة به..... فنبوته ورسالته أصبغته بحكمة فى تدبير الأمور.

الفصل الرابع

اختلاؤه فى غار حراء

١- كانت حياة النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة أمثل حياة وأكرمها... وأحفلها بمعانى الإنسانية والشرف والكرامة وعظمة النفس ثم نبأه الله وبعثه فنمت هذه الفضائل وترعرعت ومازالت تسمو فروعها وترسخ أصولها حتى أصبحت فريدة فى تاريخ الإنسانية، فكانت حياة نور انبعث من وسط ظلمات وحياة طهارة بزغت من وسط أدناس وأرجاس.

٢- ولما أخذت سنه تدنو نحو الأربعين نشأ لديه حب للعزلة عن الخلق والانصراف إلى الخالق لما فى الخلوة من صفاء النفس وهدوء البال والتفكر فى ملكوت الله وعظيم خلقه وجليل قدرته، وهذه الخلوة التى حببت إلى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم دلالة عظيمة جداً لها أهمية كبرى فى حياة المسلمين عامة وحياة الداعين إلى الله بصورة خاصة. فهى توضح أن المسلم لا يكمل إسلامه مهما كان متحلياً بالفضائل قائما بألوان العبادات حتى يجمع إلى ذلك ساعات من العزلة والخلوة يحاسب فيها النفس ويراقب الله تعالى ويفكر فى مظاهر الكون

ودلائل ذلك على عظمة الله. هذا فى حق أى مسلم يريد لنفسه الإسلام الصحيح فكيف بمن يريد أن يضع نفسه موضع الداعىْ إلى الله والرشد إلى الطريق الحق. وحكمة ذلك أن للنفس الإنسانية آفات لا يقطع شرتها إلا دواء العزلة عن الناس ومحاسبتها فى نجوة من ضجيج الدنيا ومظاهرها. فالكبر والعجب والحسد والرياء وحب الدنيا. كل ذلك آفات من شأنها أن تتحكم فى النفس وتتغلغل إلى أعماق القلب وتعمل عملها التهديمى فى باطن الإنسان رغم ما قد يتجلى به ظاهره من الأعمال الصالحة والعبادات المبرورة، ورغم ما قد ينشغل به من القيام بشئون الدعوة والإرشاد وموعظة الناس. وليس لهذه الآفات من دواء إلا أن يتخلى صاحبها بين كل فترة وأخرى مع نفسه ليتأمل فى حقيقتها ومنشئها ومدى حاجتها إلى عناية الله تعالى وتوفيقه فى كل لحظة من لحظات الحياة، ثم ليتأمل فى الناس ومدى ضعفهم أمام الخالق عز وجل وفى عدم أى فائدة لمدحهم أو قدحهم، ثم ليتفكر فى مظاهر عظمة الله وفى اليوم الآخر وفى الحساب وطوله وفى عظيم رحمة الله وعظيم عقابه، فعند التفكر الطويل المتكرر فى هذه الأمور تتساقط تلك الآفات اللاحقة بالنفس ويحيى القلب بنور العرفان والصفاء فلا يبقى لعكر الدنيا من سبيل إلى تكدير مرآته.

وشئ آخر له بالغ الأهمية فى حياة المسلمين عامة وأرباب الدعوة خاصة هو تربية محبة الله عز وجل فى القلب. فهو منبع التضحية والجهاد

وأساس كل دعوة متأججة صحيحة ومحبة الله لا تأتى من مجرد الإيمان العقلى به، فالأمور العقلانية وحدها ما كانت يوماً ما لتؤثر فى العواطف والقلوب ولو كان كذلك لكان المستشرقون فى مقدمة المؤمنين بالله ورسوله وكانت أفئدتهم من أشد الأفئدة حباً لله ورسوله. وإنما الوسيلة إلى محبة الله تعالى بعد الإيمان به - كثرة التفكير فى آلائه ونعمه، والتأمل فى مدى جلاله وعظمته، ثم الإكثار من ذكره سبحانه وتعالى بالقلب واللسان. وإنما يتم كل ذلك بالعزلة والخلوة والابتعاد عن شواغل الدنيا وضوضائها فى فترات متقطعة مكررة من الزمن. فإذا قام مسلم بذلك وتهيأ له أداء هذه الوظيفة، نبتت له من ذلك فى قلبه محبة إلهية عارمة تجعله يستصغر كل عظيم، ويحتقر كل مغرية من المغريات، ويستهين بكل إيذاء وعذاب، ويستعلى فوق كل إذلال أو استهزاء، فتلك هى العدة الكبرى التى ينبغى أن يتسلح بها الدعاة إلى الله وتلك العدة التى جهز الله بها حبيبه محمداً صلى الله عليه وسلم للقيام بأعباء الدعوة الإسلامية.

٣- وكانت البعثة بغار حراء ونزل الوحى عليه صلى الله عليه وسلم وهو يتأمل ويفكر، فحمل لواء الإسلام يرتفع به شيئاً فشيئاً مرفرفاً خفاقاً فى كل الميادين وحمل لواء المبادئ السمحة التى بعثت فى نفوس المستضعفين الأمل فأقبلوا يتدافعون إلى الإسلام اقبال الظماء على زلال الماء فيتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبر والتكريم ويبسط لهم

وجهه وقلبه ومجلسه ويسوى بينهم وبين الذين يؤمنون من السادة والأشراف لا يفرق فى ذلك بين الغنى والفقير ولا بين القوى والضعيف ولا بين الحر ولا الرقيق ويقف منهم جميعاً موقف الأخ الشقيق والوالد الرحيم يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم أصرهم والأغلال ويضرب لهم المثل الكامل بخلقه ودينه وهم يتبعونه ويقلدونه ويترسمون خطاه فيما يقول وما يفعل ويطيعونه طاعة الإكبار والإخلاص والحب.

الفصل الخامس

محمد وآل بيته

١- حلمه وبره: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم المثل الكامل والأسوة الحسنة للإنسانية فى حسن معاشرة الأزواج بالمعروف والقسمة بينهم بالعدل فى كل من المبيت والنفقة واللطف والكرم وفى احتمال غضبهن وغيرهن وتنازعهن بالأناة والرفق والموعظة الحسنة، وكان يقوم فى البيت بمهنة أهله ويقضى حوائجه بيده. قالت عائشة رضى الله عنها: (ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده امرأة له ولا خادماً قط). وكان فى بيته يطهر ثوبه ويرقعه ويحلب شاته ويخصف نعله ويخدم نفسه ويعقل البعير ويأكل مع الخادم ويقضى حاجة الضعيف والبائس والمسكين من آل بيته وإذا رأى أحداً فى حاجة آثره على نفسه ولو كان به خصاصة.

لقد جعل الرسول الكريم حسن معاشرة الزوجة ميزاناً لأفضلية المسلم، وزيادة قربه من ربه فقال فيما يرويه أبو هريرة رضى الله عنه : (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم).

يقول الأستاذ العقاد (و لم يجعل صلى اللـه عليه وسلم من هيبة النبـوة سداً رادعاً بينه وبـين نسـائه بـل أنسـاهن، برفقـه وايناسـه، أنهـن يخـاطبن رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فى بعـض الأحيـان فكـانت منهـن مـن تقول له أمام أبيها : (تكلم ولا تقل إلا حقاً !)، ومن تراجعه أو تغاضبـه ومن تبلغ فى الاجتراء عليه ما يسمع به رجل كعمر بن الخطاب فى شدته فيعجـب لـه ويهـم بـأن يبطـش بابنتـه حفصـة لأنهـا تجـترئ كمـا تجـترئ الزوجات الأخريات وإذا رأى النبى ذلك كف عن غضـب الأب وقـال : (ما لهذا دعوناك).

وكان صلى اللـه عليه وسلم هاشـا باشـاً يدخـل السـرور علـى أهلـه ويأذن لهن أن يلعبن بالمباح، قالت عائشة رضى اللـه عنها : (كنت ألعـب بالبنات) أى باللعب التى على صورة البنات، وتجئ صواحبى فيلعبن معـى فإذا رأين رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم انقمعن منه ودخلن وراء سـتر حياء وهيبة وكان صلى اللـه عليه وسلم يدخلهن على فيلعبن معى)

٢- رفقه ورعايته: وكان صلى اللـه عليه وسلم لا يشغله عن الرعايـة لأزواجه والرفق بهن شاغل فى حضراً وسفر، وفـى حـرب أو سـلام. قـال أنس بن مالك رضى اللـه عنه : (بينما رسول اللـه صلى اللـه عليـه وسـلم يسير وحاد يحدو بنسائه فضحك رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فإذا قـد تنحى بهن (ازداد حداؤه فازدادت الإبل نشاطاً) قال : فقال له : يـا أنجشـه وهـو خـادم لـدى النبـى (ويحـك) أرفـق بـالقوارير). والمـراد أن أنجشـه

خادمه كان يحدو (ينشد ويغنـى) كمـا هـى عـادة العـرب لتنشـيط الإبـل وسرعة سيرها فلما ازداد نشـاطها وعليهـا النسـاء أمـره صلـى اللـه عليـه وسـلم بـالرفق لأنهـن كـالقوارير (الزجاجـات) فـى رقتهـن ولطـافتهن وضعفهن

و لم يختلف حاله صلى اللـه عليه وسلم مع أزواجه في وقت الشدائد عن حاله في وقت الرضا فإن أحواله بهن في وقت الغضب لا تحـرك عـن مجال الرحمة والصفح والتلطف معهن بل ودفع الأذى عنهن.

فلما شاعت حملة عبد اللـه بن أبى بشأن خبر الإفك قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم عن السيدة عائشة : (إنـى لا أعلـم عنهـا إلا خـيراً) وقالت عائشة رضى اللـه عنها : (كان بيني وبين رسول الله صلـى اللـه عليه وسلم كلام فقال : من ترضين أن يكـون بينـى وبينـك ؟ فقلـت أبـا بكر. فبعث إليه فجاء فقال رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم : اقض بينى وبين هذه. فقال : أنا يارسول اللـه ؟ ! قـال : نعـم فتكلـم رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم، فقلت له : (اعدل يارسول ا لله) قالت : فرفع أبـو بكر يده فلطم وجهى لطمة بدرمنها أنفي ومخراى دمـاً وقـال : لا أبـالك فمن يقصد إذا لم يقصد رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم. فقـال رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم: ما أردنا هذا، وقـام فغسـل الـدم عـن وجهـى وثوبى بيده).

٣- عدله وانصافه : كان صلى اللـه عليه وسلم يعدل بـين أزواجـه في النفقة وفى السؤال عنهن وفى المبيت وفى السفر وفى الإقامة، فى كل ما يتصل بهـن مما يقـدر عليـه، أما مـا كـان خارجاً عـن قدرتـه كحبـه لإحداهن أكثر من غيرها فذلـك مـا لم يكلفـه اللـه بـه ومـع ذلـك كـان يستغفر اللـه منه. قالت عائشة.. رضى اللـه عنهـا : (كـان رسـول صلـى اللـه عليه وسلم يقسم فيعدل ويقول : اللهم هذا قسـمى فيمـا أملـك فـلا تلمنى فيما تملك ولا أملك).

٤- عطفه ورحمته : كان الرسول صلى اللـه عليه وسلم حاكم دولة وزعيـم أمـة ومربـى جيـل وقـائد جيـش كمـا كـان مصلحـاً اجتماعيـاً واقتصادياً وسياسياً ومشرعاً لكافة البشر كما كان صلى اللـه عليه وسـلم زوجاً وأباً وصهراً وكافل أيتام ومروض منافقين ومعـالج مرضـى القلـوب وضعاف الإيمان ومع ذلك كله وجد مكاناً فى قلبه لأبنائـه كـى يعطيهـم من الرحمة والعطف والشفقة والعطف ما يشـبع رغبتهـم ويحيـى نفوسـهم ويسعد وجدانهـم ويربى فيهم الخلق الكريم والشعور النبيل وحتى يضفـى عليهم من نور نبوته وحنان أبوته ما يجعل الحياة فى خاصـة أهلـه وأولاده حياة مشرفة.

قال أبو قتادة : (بينما نحن على بـاب رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم جلوس أن خرج علينا رسول اللـــه صلـى اللـه عليـه وسـلم يحمـل أمامة بنت أبى العاص ابن الربيع وأمها زينب بنت رسول اللـه صلى اللـــه

عليه وسلم وهى على عاتقه يضعها إذا ركع ويعيدها علـى عاتقـه إذا قـام حتى قضى صلاته يفعل ذلك بها).

وذات مرة أقبل الحسن بن على علـى رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسلم فرحب به النبى وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه.

وكان الرسول صلى اللـه عليه وسلم لا يجـامل أولاده علـى حسـاب باقى الناس فعن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أن رسـول اللـه صلـى اللـه عليه وسـلم لمـا زوجـه فاطمـة رضـى اللـه عنهـا بعـث معهـا بخملـة ووسادة أدم حشوها ليف ورحاءين وسقاء جرتين فقال على لفاطمة ذات يـوم : واللـه لـو سـقوت (أى حملـت آلـة السـقى) حتـى قـد اشـتكيت صدرى. فقد جاء اللـه أبـاك بسبى، فـاذهبى فاستخدميه فقـالت : وأنـا واللـه قد طحنت حتى مجلت (أى ورمت) يداى. فأتت النبى صلـى اللـه عليه وسلم فقـال : مـا جـاء بـك يابنيـة ؟ قـالت : جئـت لأسـلم عليـك واستحيت أن تسأله ورجعت. فقال : ما فعلـت ؟ قـالت : اسـتحييت أن أسأله ورجعت. فأتياه جميعاً فقال على : واللـه لقد سقوت حتى اشتكيت صدرى، وقالت فاطمة : واللـه قد طحنت حتـى مجلت يـداى وقـد أتـى اللـه بسبى وسعة فاخدمنـا (أى اجعـل لنـا خادمـاً) فقـال : واللـه لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم ولكنـى أبيعهم (أى السبى) وأنفق على أهل الصفة من أثمانهم. وأهـل الصفـة هـم مساكين أسكنهم رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم فوق مسجده.

ولقد بلغ حلم الرسول صلى الله عليه وسلم ورحمته الذروة فى تاريخ الإنسانية إذ لم يقف حلمه وبره وعطفه ورفقه عند الإنسان فحسب بل شمل الحيوان كذلك فكان يقوم بنفسه ليفتح بأبه لهرة تلتمس عنده ملجأ وكان يقوم بنفسه على تمريض ديك مريض وكان يمسح لجواده بكم قميصه وكان يقول صلى الله عليه وسلم : (إن الله رحيم يحب الرحماء ومن لا يرحم لا يُرحم).

ركبت عائشة ذات يوم بعيراً فيه صعوبة فجعلت تردده فقال لها صلى الله عليه وسلم : (عليك بالرفق) فكذلك شملت رحمته كل ما اتصل بها وأظلت كل من كان فى حاجة إلى تفيوء ظلالها. وهى لم تكن مودة ضعف ولا رحمة استكانة ولم تشبها شائبة من ولا استعلاء إنما كانت اخاء فى الله بين محمد والذين اتصلوا به جميعاً ومن ثم يفترق أساس حضارة الإسلام عن كثير من سائر الحضارات فالإسلام يضع العدل إلى جانب الاخاء والمودة إلى جانب الصفح والحلم إلى جانب الرحمة، وينبع ذلك من نبع الرسالة التى أرسله الله بها شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

الفصل السادس

زهد محمد

١- لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يتأنق فى ملبسه و لم تطلب نفسه التعالى فيه ميلاً للتواضع والعبودية، واشارة إلى أن كرم المؤمن وعزة تقوى الله لا بارتكاب أوجه الترفعات الدنيوية إذ لا يميز بها الله بين عباده ومعيار التميز عند الله تعالى هو التقوى.

٢- أما فراشه صلى الله عليه وسلم فقد أخذ منه ما تدعو ضرورته إليه فكان فراشه صلى الله عليه وسلم الذى ينام عليه أدماً حشوه ليف. روى البيهقى فى حديث عائشة قالت : (دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم قطيفة مثنيه فبعثت إلى بفراش حشوه الصوف. فدخل على النبى صلى الله عليه وسلم فقال : "ما هذا ياعائشة ؟" قلت : يارسول الله فلانه الأنصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت إلى بهذا فقال : رديه ياعائشة فوا لله لو شئتُ لأجرى الله معى جبال الذهب والفضة).

وروى ابن ماجة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على حصيرة قال : فجلست

فإذا عليه إزاره.... وليس عليه غيره وإذا الحصير قد أثر فى جنبه وإذا بقبضة من الشعير نحو الصاع وإذا إهاب معلق فابتدرتْ عيناى فقال : ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ فقلت : يا نبى الله ومالى لا أبكى وهذا الحصير قد أثر فى جنبك وهذه خزائنك لا أرى فيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر فى الثمار والأنهار وأنت نبى الله وصفوته وهذه خزائنه. فقال : يا ابن الخطاب : أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا)..... ما أروعه من زهد وتقشف...

٣- يقول "بوزورث سميث" فى وصف الرسول صلى الله عليه وسلم : "ما كان أثاث داره ليزيد على سريره الذى ينام عليه وقد صنع من سعف النخيل وكم من ليال نام فيها على الطوى وكم من أيام مرت دون أن توقد فى دار من دوره نار لطبيخ وما كان غذاؤه وغذاء أهل بيته إلا التمر والماء.

قالت عائشة رضى الله عنها واصفة حال بيتها من جهة الطعام فتقول لعروة ابن الزبير : (والله يا ابن أختى إنا كنا ننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة فى شهرين وما أوقد فى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار. قال عروة ياخالة فما كان عيشكم ؟ قالت : (الأسودان

- التمر والماء) [1] وكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئاً لغده حتى لقد انتلقت روحه إلى بارئها ودرعه مرهونة عند يهودى فى قوت عياله.

وحينما اجتمعت نساء الرسول صلى الله عليه وسلم يطلبن مزيداً من النفقة ومتع الحياة رفض الرسول ذلك ونزل القرآن يؤيده قال تعالى : (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً) [2] . فاخترن جميعا الله ورسوله والدار الآخرة لأنهن أدركن حينئذ الهدف الحقيقى من تكريم الرسول لهن بالزواج منهن.

٤- وقد كان محمد صلى الله عليه وسلم قدوة سلوكية. لم يكن يبغى السيطرة بل كان يقول دائما أنه بشر رسول، ولقد عرضوا على رسول الله فى أول الأمر وبدون جهد أو لقب أن يعطوه من المال ما يريد فلما رفض عرضوا عليه الملك إن أراد فرفض الزعامة والثروة والجاه والسلطان وكل ما تستطيع الدنيا أن تهبه له وعندما وجد من يصافحه يرتعد من الإنفعال لأنه يصافح رسول الله. قال له : هون على نفسك فأنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (أى الخبز الجاف).

---

(١) عن مقال للدكتور شحات حسين الفيومى المدرس بكلية أصول الدين بالمنوفية (اللواء الإسلامى العدد ٣٠٢)

(٢) سورة الأحزاب الاية ٢٨ و ٢٩.

قد يحدث بعض الأحيان أن تكون المثل عند الإنسان أكبر من حجم الدنيا لأنه لم يذق حلاوة المجد والحياة والسلطان والمال ونعيم الحياة ولكن حين تقبل عليه الدنيا قد تتغير مثله وقيمه. فكم من إنسان بدأ مكافحاً حتى إذا حقق لنفسه الثروة نسى المثل التى قامت عليها حياته وأباح لنفسه ما كان يحرمه عليها ولذلك نسمع عن كثير من الذين قادوا ثورات الاصلاح فى العالم أنهم انحرفوا عن الطريق وأنه لابد من تصحيح مسار الثورة وابعاد المنحرفين عنها. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفض بعد أن انتصر الإسلام وانتشر فى الجزيرة العربية وثبت أقدامه، رفض أن يحصل على ميزة شخصية، فلا هو بنى لنفسه قصراً، بل ظل يعيش فى بيته، ولا هو أنشأ لنفسه حرساً....

فالله يقول عنه (والله يعصمك من الناس) [1].

(١) سورة المائدة ٦٧.

الفصل السابع

محمد وأصحابه

لم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم ولا في العصور الأخرى من قاربه في فضله، ولاداناه في كماله خلقاً وخلقاً وقولاً وفعلاً وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه الكريم بقوله (وإنك لعلى خلق عظيم) [1] وقد حدثت عائشة رضى الله عنها عندما سئلت عن خلقه صلى الله عليه وسلم إذ قالت : (كان خلقه القرآن)

١- " فقد وسع الناس بأخلاقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء، فقد كان مجلسه صلى الله عليه وسلم مجلس حلم وحياء وصدق وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنسى فلتاته، لا يجلس ولا يقوم إلا ذكر الله عز وجل ويعطى كل جلسائه بنصيبه فلا يحسب أحد من جلسائه أن أحدا أكرم عليه منه " [2]

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) عن كتاب أخلاق النبى صلى الله عليه وسلم وآدابه تأليف الحافظ أبى عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأصفرانى تحقيق احمد محمد موسى.

٢- (وسيرته فى جلسائه أنه صلى الله عليه وسلم كان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس فظ ولا غليظ ولا صخابٌ فى الأسواق ولا فاحش، ولا غياب ولا مداح، وكان لا يذم أحداً ولا يعيره ولا يطلب عوراته ولا يتكلم معهم إلا فيما رجا ثوابه، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير، وإذا سكت تكلموا، ولا يتنازعون عنده الحديث، من تكلم انصتوا له حتى يفرغ ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز حديثه إلى غيره).

٣- وقد كان صلى الله عليه وسلم يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى إلى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر ويبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان أطيب الناس بينهم نفساً وأكثرهم تبسماً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب.

٤- وكان الرسول صلى الله عليه وسلم بين مواليه وخدمه عطوفاً شفيقاً براً رحيماً ىيحبهم ويكرمهم ويكرم أبناءهم وكان يبر حاضنته - أم أيمن - ويقول عنها : " هذه بقيه أهلى " ويقول : " أم أيمن أمى بعد أمى " ورأت أم أيمن النبى يوماً وهو يشرب فقالت له : " اسقنى " فاستنكرت السيدة عائشة زوج النبى من أم أيمن أن تقول ذلك للرسول

وقالت لها : " أتقولين ذلك لرسول الله " ؟! فقالت أم أيمن : " ما خدمته أطول، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : " صدقت يا أم أيمن " وجاء لها بالماء فسقاها. وكان يحب مولاه " زيد بن حارثه " الذى كان قد زوجه من أم أيمن وكان حبه وبره على ابنها أسامة بن زيد لا يقل عن حبه للحسن ابن ابنته فاطمة وكان يقول عنهما مناجياً الله : " اللهم إنى أحبهما فأحببهما " وكان يقول عن أسامة : " من أحب الله ورسوله فليحب أسامة بن زيد ". وخدم " أنس بن مالك " الرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنين ما عاقبه فيها يوماً ولا قال لشئ فعله : " لم فعلته"؟ " ولا لشئ لم يفعله " : إلا فعلته ". وكان يذهب إلى دار أنس فيداعب اخوته الصغار فإذا جاء موعد الصلاة صلى بدارهم وصلى أهل البيت معه. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى بر اليتامى والاحساس بآلامهم ومشاعرهم والدعوة إلى معالجة أحاديث نفوسهم من الشعور بالغربة فلقد كان الصدر الحانى والقلب العطوف ممثلاً فى ذلك لأمر ربه : ("فأما اليتيم فلا تقهر") [٢].

وجاء واضحاً فى هديه قوله صلى الله عليه وسلم : " أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين " وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وكان لا ينهر سائلاً ممتثلاً لقوله تعالى : (وأما السائل فلا تنهر) [١] فكأن رسول الله

[٢] سورة الضحى الآية ٩

(١) سورة الضحى الآية ١٠.

صلى الله عليه وسلم كان بلسماً لجراح كل أصحاب النفوس المكلومة والتى تعانى من ضعف الجانب وقلة الحيلة كهؤلاء ليكون بحق - رحمة للناس أجمعين. قال تعالى : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) [٢] وقالت السيدة خديجة - وهى أعرف الناس به - : " ما كان ليخزيك الله ابداً إنك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق " [٣].

٥- لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلة القربى فقال : " أوصيكم بصلة الرحم " وذلك لأن صلة القربى يقوى من الروابط بين المسلمين وقد ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة والمثل الأعلى فى صلة القربى فكان يوصل أهله وذويه ويعطف عليهم ويودهم وقد بلغ حبه صلى الله عليه وسلم لصله القربى أن جمع حوله أعظم وأقوى أصحابه : فقد تزوج من عائشة بنت أبى بكر ومن حفصة بنت عمر وزوج عثمان ابنته أم كلثوم بعد أن أختار الله رقية إلى جواره وكانت زوجة لعثمان وزوج ابنته فاطمة من على بن أبى طالب ابن عمه... بهذا كفل للمسلمين مزيداً من القوة ومزيداً من الترابط وصلة القربى.

---

(٢) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٣) صحيح البخارى باب كيف كان بدء الوحى.

٦- كل هذه الصفات إنما تأتى من وراء صفة النبوة فيه.. فهى كلها متفرعة عن كونه نبياً ورسولاً إلى الناس، ومن الخطأ الفادح أن يعمد باحث فيحلل مثل هذه الصفات فى حياته صلى الله عليه وسلم دون أن يربطها بمصدرها الأساسى الأول وهو نبوته ورسالته صلى الله عليه وسلم

٧- صورة رائعة عن لطف معشره وأنس حديثه والفكاهة فى محاوراته لأصحابه ومعاشرته لرفاقه، لم يكتب لنا أن نراها ونسعد بها فى مجالسه ومصاحبته ولكن ها نحن نستشفها من سيرته وأخباره العطرة فيهزنا الشوق إلى رؤيته التى حرمناها ومجالسه التى سمعنا بها و لم نرها. اللهم عوضنا عن ذلك كله بلقاء معه فى جنان خلدك وهيئنا لذلك بتوفيق من لدنك للتمسك بهديه واقتفاء أثره فى تحمل كل محنة وضيم فى سبيل دينك وتحقيق شريعتك.

الفصل الثامن

محمد واعدائه

١ـ محمد وقريش :

قال ابن هشام : " بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجهر بدعوته تنفيذاً لأمر ربه فأستجاب لقوله تعالى : (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) [١] لكن قريشاً عادت محمدا صلى الله عليه وسلم فقد لاقى من ايذائهم أنواعاً كثيرة من ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص " أنه قال : " بينما النبى صلى الله عليه وسلم يصلى فى حجر الكعبة إذ أقبل " عقبة بن أبى معيط " فوضع ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال : " أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله " [٢] ومنه ما رواه الطبرى وابن اسحاق أن بعضهم عمد إلى قبضة من التراب فنثرها على رأسه وهو يسير فى بعض سكك مكة وعاد إلى بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب وهى تبكى ورسول الله يقول لها : " بنية : لا تبكى فإن الله مانع " أباك " [٣] ومنه ما كانوا يواجهونه

---

(١) سورة الحجر الآية ٩٤.

(٢) رواه البخارى

(٣) انظر تاريخ الطبرى ٣٤٤/٢ وسيرة ابن هشام ١٥٨/١.

به من فنون الهزء والغمز واللمز كلما مشى بينهم أو مر بهم فى طرقـاتهم أو نواديهم.

هب أن أحداً منا قد تعرض لمثل تلك العذابات فإنه ولا شك يتوهـم اليأس ويفترض العقبات والسدود التى تصد عن بلوغ الغاية. لكنـه صلى اللـه عليه وسلم ما توهم يأساً ولا افترض سداً أو عقبة وإنما تحمل كثيراً.. مستبشراً بالنصر كلما رأى أنه يتحمل مزيداً من الضر والنكبات سعياً إلى تحقيق أمر اللـه عز وجل.

وهب أن أحدنا قد تعرض لمثل ما تعرض لـه محمـد صلى اللـه عليه وسلم فى بدء دعوته وهو ضعيف الجانب امام قوى عظيمة كقوى قريش آنذاك فإنه ولا شك يتوعد لهم الوعود ويتربص بهم الدوائر إذا مـا قويت شوكته وعظم شأنه لكن محمداً صلى اللـه عليه وسلم كان موقناً بأن نصر اللـه آت لا ريب فيه وقد أتى .... وعظم شأن محمد وأصحابه فماذا فعل بأهل قريش ؟!.

ففى بدر حيث اشتدت المعركة بين المسلمين والمشـركين فـإذا بـروح رسول اللـه الطاهرة السمحة تعترف لبعض أعدائه من المشـركين بـالجميل إذ أمر المسلمين بأن يمتنعوا عن قتال طائفة من أعدائه وهـم أولئـك الذين استكرهوا على الخروج لقتال محمد فأبى أن يقتلهم وإنما ترفق بهم وحفظ لهم الجميل إذ كانوا مانعى قريشاً منه، ولو كان مكـان محمـد صلى اللـه عليه وسلم غير محمد ما كان توانى لحظة فى قتالهم إذ ليس من المقبول أن

يؤدى إنسان لإنسان جميلاً ويحاربه بعد ذلك لكن روحه السمحة ووفـاءه العهد أبت إلا الرفق بهم والحسـنى معهـم.. وقـد كـان صلـى اللـه عليـه وسلم يصفح عمن أذاه فلما اشتدت معركة بدر وحمـى وطيسـها وكتـب اللـه النصر لمحمد وأصحابه وهم قلة على الكـثرة الكـافرة وكـان للرسـول صلى اللـه عليه وسلم وأصحابه أسرى من الأعداء فماذا فعل بهــم ؟ لقـد توسط لديه وزيراه أبو بكر وعمر فى شأن قتالهم، فما كان منه صلى اللـه عليه وسلم رغم ما لقيه منهم من عـذاب إلا أن اختـار جـانب التسـامح والصفح عنهم والرحمه بهم فأطلق سراحهم بعد أن افتدوا أنفسهم بالمال.

وفى أحد عندما قتل المشركون حمزة بن عبد المطلب أسد اللـه وأسد رسول اللـه وجده صلى اللـه عليه وسلم يبطن الوادى قـد بقـر بطنـه عـن كبده ومثل به فجدع أنفه وأذناه فقال صلى اللـه عليـه وسـلم ! " ولئـن أظهرنى اللـه على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهـم " وعندئذ نزل قوله تعالى : (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتـم بـه ولئـن صبرتم لهو خير للصابرين) [1] وعندئذ عفا محمد وغفر ونهى عن المثلة.

وفى صورة أخرى نجده صلى اللـه عليه وسلم حينما فتـح مكـة فـى العام الثامن الهجرى ومعه عشرة آلاف مؤمن وقـف أمـام الكعبـة وقـال : "يا معشر قريش : ما ترون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً، أخ كريم وابـن

---

(١) سورة النحل الآية ١٢٦.

أخ كريم، فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء " [1] ها هى ذى مكة وها هم أهلها الذين طالما ناصبوه صلى الله عليه وسلم العداء وساموه أصناف الأذية والعذاب يجتمعون حوله فى خشوع وترقب واطراق.

ومنذ تلك اللحظة طويت جاهلية قريش.. فلتطو معها سائر عاداتها وتقاليدها، ولتدفن فى غياهب الماضى الذى أدبر ولتغتسل قريش من بقية أدرانها لتنضم إلى قافلة محمد وتسير مع الركب، وهكذا دفنت بقايا الآثار الجاهلية تحت الأقدام وبايعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام على أنه لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى وعلى أنه لا تعاظم إلا بحلة الإسلام ولا مباهاة إلا بالتمسك بنظامه وعلى ذلك ملكهم الله زمام العالم وأخضع لهم الدنيا.... فأعجب بعد ذلك لجيفة نتنة تبعث اليوم من رمسها بعد مضى اربعة عشر قرناً على موتها ودفنها... والفضل فى ذلك لعظمة محمد صلى الله عليه وسلم الكبرى.

٢ـ محمد وثقيف :

لما نالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم خرج إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ويرجو أن يقبلوا منه ما جاءهم به من عند الله عز وجل. ولما انتهى صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ ساداته فجلس إليهم ودعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم من أجله، فردوا عليه رداً منكراً، وفأجأوه بما لم يكن يتوقع من

(١) رواه ابن اسحاق وروى نحوه ابن سعد فى طبقاته.

الغلظة وسمج القول، فقام رسول اللـه من عندهم يرجوهم أن يكتموا خبر مقدمه إليهم عن قريش إذا، فلم يجيبوه إلى ذلك أيضاً، ثم أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبون ويصيحون به وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أن رجلى رسول اللـه صلى اللـه عليه وسلم لتدميان وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج فى رأسه عدة شجاج[1] حتى وصل رسول اللـه إلى بستان لعتبة بن ربيعة فرجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه، فعمد عليه الصلاة والسلام، وقد أنهكه التعب واالجراح، إلى ظل شجرة عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران إليه، فلما اطمان النبى صلى اللـه عليه وسلم فى ذلك الظل، رفع رأسه يدعو بهذا الدعاء : " اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى، وهوانى على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وانت ربى. إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى، ولكن عافيتك أوسع لى، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك، لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك ". ثم عزم صلى اللـه عليه وسلم العودة إلى مكة ومعه زيد بن حارثة فقال له زيد : " كيف تدخل عليهم يا رسول اللـه وهم أخرجوك؟ " فقال له صلى اللـه عليه وسلم : " يا زيد إن اللـه جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن اللـه ناصر دينه ومظهر نبيه "

---

(١) : طبقات ابن سعد : ج ١ ص ١٩٦.

فعاد رسول الله وصاحبه إلى مكة يتعرض لصنوف من الأذى وألوان من العذاب.

ويكون قد ركب متن الشطط من يعتقد أنه صلى الله عليه وسلم قد غلب على أمره وان الضجر قد نال منه وأنه استعظم تلك المحنة لذلك توجه إلى الله بدعائه.

ولكن الحقيقة أنه عليه الصلاة والسلام قد استقبل تلك المحن راضياً، وتجرع تلك الشدائد صابراً محتسباً وإلا فقد كان بوسعه لو شاء أن ينتقم من السفهاء الذين آذوه ومن الزعماء الذين أغروا به أولئك السفهاء وردوه ذلك الرد المنكر ولكنه عليه الصلاة والسلام لم يشأ ذلك.

ودليل ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا رسول الله هل أتى عليك يوما كان أشد من يوم أحد ؟ فقال : " لقد لقيت من قومك، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسى على " ابن عبد ياليل بن عبد كلال " فلم يجبنى إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهى، فلم استفق إلا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فإذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت فإذا فيها جبريل فنادانى فقال : "إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعثت اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت. قال : " فنادانى ملك الجبال وسلم على ثم قال : " يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثنى ربك إليك لتأمرنى بأمرك ، فما

شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شئاً " [1].

إذاً فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلم اصحابه وأمته من بعده - بما كان يلاقيه - الصبر بل وفن الصبر أيضاً على جميع الشدائد والمكاره فى سبيل الله عز وجل.

روى ابن اسحاق أنه صلى الله عليه وسلم قدم المدينة من تبوك فى شهر رمضان، وفى ذلك الشهر قدم عليه وفد ثقيف وكانوا قد تشاوروا بينهم فأسلموا طائعين.

ثقيف..... ! أولئك الذين أخرجوه من ديارهم شر إخراج وألحقوا به سفهاءهم وصبيانهم يضربونه ويؤذونه ويسخرون منه.

تلك هى ثقيف تسعى للدخول فى دين الله تعالى صادقة طائعة واستقبلهم محمد صلى الله عليه وسلم أعظم استقبال.

ولكن : تأمل فى كل ذلك الإيذاء الذى رآه من ثقيف والخيبة التى فوجئ بها بعد أن هاجر ساعياً على قدميه يعبر إليهم جبالاً وأودية قاصية مؤملاً عندهم استقبالاً كريماً أو استجابة حسنة إن أدنى ما يترك ذلك فى

---

(١) صحيح البخارى ومسلم.

نفس الإنسان العادى من الناس من الأثر، أن يفكر فى الانتقام أو أن يقابل إساءة بمثلها.

ولكن أين نجد هذا - أو حتى شيئاً من هذا - فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاه ثقيف ولقد قيل له : " أدع على ثقيف " بعد أن حاصرها أياماً وأمر أصحابه بالرجوع فأبى ذلك ودفع يديه يقول : "اللهم اهد ثقيفاً وأت بهم مؤمنين".

ولما استجاب الله لدعاء رسوله وجاء وفد ثقيف إلى المدينة تسابق أبو بكر والمغيرة بن شعبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر انه بذلك لما يعلم كل منهما من شدة سرور النبى صلى الله عليه وسلم بنبأ اسلام ثقيف... وهدايتهم فخرج يستقبلهم فى بشر واكرام وراح يحبس عليهم وقته كله يعلمهم ويرشدهم وينصح لهم.

طالما أرادوا به الكيد وشفوا بايذائه غليل أحقادهم عليه، وهو لا يريد بهم إلا الخير والسعادة والرشد فى الدنيا والآخرة، طالما فرحوا بمنظر النكبة والضر يرى متلبساً بها، ولكنه لم يفرح لهم إلا بنعمة الخير والاسلام إذ أكرمهم بهما الله !..

هذا هو الروح الطاهر والخلق الرضى........

٣ـ محمد واليهود :

لقد لاقى محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود أشد العذاب وأعنف المواقف وأرادوا به مواضع الخسة ومناظر النكبة، ومع ذلك، فقد كان ودوداً بهم مسامحاً لهم فتحدث إلى رؤسائهم وتقرب إليهم وربط بينهم وبينه برابطة المودة باعتبار أنهم أهل كتاب موحدون وبلغ من ذلك أنه كان يصوم يوم صومهم وكانت قبلته فى الصلاة ما تزال إلى بيت المقدس قبلة أنظارهم ومثابة بنى إسرائيل جميعاً وما كانت الأيام لتزيده باليهود أو لتزيد اليهود به إلا مودة وقربى كما أن سيرته وعظيم تواضعه وجميل عطفه كل ذلك وصل بالأمر بينه وبينهم إلى عقد معاهدة صداقة وتحالف وتقرير لحرية الاعتقاد وتعتبر من الوثائق السياسية الجديرة بالاعجاب على مر التاريخ، تتضح منها مودته بهم وصفحه لهم وحلمه إليهم وتسامحه معهم. وأدى خلق محمد صلى الله عليه وسلم بكثير من اليهود إلى طريق الهداية.. والسلام.. طريق النور.. طريق الاسلام..

٤ـ محمد وعبد الله بن أبى بن سلول :

عبد الله بن سلول هو صاحب خبر الإفك.... الشئ الذى كان أبلغ إيذاء للنبى صلى الله عليه وسلم من غيره لأن كل ما كان قد كابده قبل ذلك من المحن أمور كان يتوقعها فقد وطّن نفسه لقبولها وتحملها.. وليس التقاؤه بها فى طريق الدعوة مفأجاة له، أما هذه فقد فوجئ بها لأنها ليس مما قد اعتاده أو توقعه.. إنه اليوم شئ آخر.. إنها شائعة، لو صحت لكانت

طعنة نجلاء فى أخص ما يعتد به إنسان، أخص ما يتصف به الشرف والكرامة وما الذى أدراه انها شائعه صحيحة أو باطلة ؟!. من هنا كانت هذه الأذية أبلغ فى تأثيرها من كل ما عداها، لأنها جاءت لتلقى بشعوره النفسانى فى اضطراب مثير لا مناص منه، إلا وحى ا لله.

وقد عالج النبى صلى الله عليه وسلم المشكلة التى استغلها عبد الله بن أبى بن سلول بحكمة وبراعة فائقة فى سياسة الأمور وتربية الناس والتغلب على مشاكلهم.. فاستقبل الرسول صلى الله عليه وسلم إشاعة ابن سلول بصدر رحب وسمع كل اللغط الذى جرى والتناوش الذى وقع وقضى شهراً كاملاً فى فرية من الأمر. وانتظر الناس أن يجدوا من الرسول صلى الله عليه وسلم شدة على المنافقين لا ريب أنها تتجلى فى قتل عبد الله بن أبى بن سلول، ذلك الرجل الذى لم تكن نفسه تهدأ حسداً لمحمد والمسلمين.

وقد أحس ابنه " عبدا لله بن عبدا لله بن أبى " وهو مسلم بأن محمداً لا ريب آمر بقتل أبيه بن أبى فذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : " يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبدا لله بن أبى فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرنى به فأنا أحمل إليك رأسه فو الله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالده منى وإنى لأخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل أبى يمشى فى الناس فأقتله، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر فأدخل النار".

ما أبلغ هذه العبارة على ايجازها فى قوة التعبير عن حالة نفسية تضطرب فيها أقوى العوامل فى النفس أثراً وتضطرب فيها عوامل البر بالأب وصدق الإيمان والنخوة العربية والحرص على سكينة المسلمين حتى لاتتواتر الثورات بينهم.

أى جلاد بين الإيمان والعاطفة والخلق أشد من هذا الجلاد ؟ !..

وأية مأساة نفسية أفتك بصاحبها من هذه المأساة... أفتدرى بم أجاب النبى صلى الله عليه وسلم عبد الله بعد أن سمع قوله : إنا لا نقتله بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا ".

يا لروعة العفو وجلاله ! محمد يترفق بهذا الذى يؤلب أهل المدينة عليه وعلى أصحابه فيكون رفقه وعفوه أبعد أثراً من عقوبته لو أنه أنزلها به.

فاستنكر عمر ذلك فقال له صلى الله عليه وسلم : " كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ؟.

أى سماحة تلك وأى صفح..... ؟ !.

ـ محمد وفضالة :

روى ابن هشام " أن فضالة بن عمير الليثى [1] أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ !، قال : نعم، فضالة يا رسول

---

(١) ذكر هذه القصة ابن هشام فى سيرته، وأوردها ابن القيم فى زاد المعاد.

اللـه، قال ماذا كنت تحدث به نفسك ؟، قال : لا شئ كنت أذكـر ا لله، فضحك النبى صلى اللـه عليه وسلم ثم قال : أستغفر ا لله، ثم وضـع يـده على صدره فسكن قلبه، فكـان فضالـة يقـول : واللـه مـا رفـع يـده عـن صدرى حتى ما من خلق اللـه شئ أحب إلى منه ".

٦ـ عبرة وعظة :

تلك ليست سجايا إنسان عادى يدعــو إلى مبـدأ يـراه أو عقيـدة قـد تخيرها إنها ليست إلا طبيعة النبوة وليست إلا من أثر تطلعه عليـه الصـلاة والسلام إلى هدف واحد فقط، هو أن تؤتى هذه الدعوة ثمارها فيلقى ربه وهو عنه راض، وما أهون النكبات والآلام كلهـا فـى هـذا السـبيل. وقـد تم....

وما أعظم الفرحة إذ يجتاز العبد تلك المفاوز كلها ويستقر عنـد هـذا الهدف الجليل !.



وفى النهاية تبقى كلمة ...

لقد استطاع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأخلاقه أن يقيم دولة إنسانية أرقى من أية دولة تقوم على أساس العرقية أو الثورات أو الجبروت العسكرى وصار لكل فرد من الحقوق بقدر ما عليه من الواجبات....وضاعت الطائفية والعلو بالنسب والقهر العسكرى. و لم يبق إلا قوله تعالى : (إنما المؤمنون إخوة) [1] بما لها من حقوق وواجبات، طرداً وعكساً، فكل حق يقابله واجب وكل واجب يقابله حق وليس فى الناس سيد وعبد وإنما الكل فى الإسلام سواء إمتثالاً لقوله تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)[2] وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم : " لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ".

وباخلاقه صلى الله عليه وسلم دانت له مشارق الأرض ومغاربها بالحلم والعفو والصفح والبر والتسامح والمودة واللين والعدل والإنصاف والرحمة والعطف والصدق والأمانة والحياء والإيثار وصدق الشاعر حين قال :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت .. فإن همُ ذهبت أخلاقهم ذهبوا !!

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٣

من أقـــوال

رسول الإنسانية محمد «صلى الله عليه وسلم»

تتمة للفائدة المرجوة من إلقاء الأضواء على خلق رسول الإنسانية «محمد» صلى الله عليه وسلم على النحو الذى فرغنا للتو من بيانه.

فقد رأيت إيراد الأربعين حديث النووية كملحق يثرى الكتاب وينهل من زاده أحباء رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه.

مقدمة الإمام النووي

رحمه الله تعالى

﴿ وَمَاآتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾

[قرآن كريم]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، قَيّوم السموات والأرضين ، مدبر الخلائق أجمعين ، باعث الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إلى المكلفين لهدايتهم ، وبيان شرائع الدين ، بالدلائل القطعية وواضحات البراهين .

أحمده على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه ، وأشهد أنْ لا إلٰهَ إلاّ الله وحده لا شريك له

الواحد القهار ، الكريم الغفار ، وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل المخلوقين ، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة المستمرة على تعاقب السنين ، وبالسنن المستنيرة للمسترشدين ، سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وسماحة الدين ، صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين ، وآل كل وسائر الصالحين .

أما بعد : فقد روينا عن علي بن أبي طالب ، وعبدالله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبي الدرداء ، وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهم - من طرق كثيرات ومن روايات متنوعات : أنَّ رسول الله ﷺ قال : « مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِيْنَ حَدِيْثَاً مِنْ أَمْرِ دِيْنِهَا بَعَثَهُ الله يَوْمَ القِيَامَةِ في زُمْرَةِ الفُقَهَاءِ والعُلَمَاءِ » ، وفي رواية : « بَعَثَهُ اللّهُ فَقِيْهَاً عَالِماً » ،

وفي رواية أبي الدرداء : « وَكُنْتُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شَافِعاً وَشَهِيْدَاً » ، وفي رواية ابن مسعود : « قِيْلَ لَهُ ادْخُلْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شِئْتَ » ، وفي رواية ابن عمر : « كُتِبَ في زُمْرَةِ العُلَمَاءِ وَحُشِرَ في زُمْرَةِ الشُّهَدَاء » .

واتفق الحفاظ على أنّه حديث ضعيف وإن كثرت طرقه ، وقد صنف العلماء ـ رضي الله عنهم ـ في هذا الباب ما لا يُحصى من المصنفات .

فأول من علمته صنف فيه عبد الله بن المبارك ، ثم ابن أسلم الطوسي العالم الرباني ، ثم الحسن بن سفيان النسائي ، وأبو بكر الآجري ، وأبو بكر بن إبراهيم الأصفهاني ، والدارقطني ، والحاكم ، وأبو نعيم ، وأبو عبد الرحمن السلمي ، وأبو سعيد الماليني ، وأبو عثمان الصابوني ، وعبد الله بن محمد الأنصاري ، وأبو بكر البيهقي ، وخلائق لا يحصون من المتقدمين والمتأخرين .

وقد استخرت الله تعالى في جمع أربعين حديثاً اقتداءً بهؤلاء الأئمة الأعلام وحفاظ الإسلام ـ وقد اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال ، ومع هذا فليس اعتمادي على هذا الحديث ، بل على قوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة : « لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُم الغَائِب » ، وقوله ﷺ : « نَضَّرَ الله امْرأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا كَمَا سَمِعَهَا » .

ثم من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدين ، وبعضهم في الفروع ، وبعضهم في الجهاد ، وبعضهم في الزهد ، وبعضهم في الآداب ، وبعضهم في الخطب ، وكلها مقاصد صالحة رضي الله عن قاصديها .

وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كله ، وهي أربعون حديثاً مشتملة على جميع ذلك ، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدين ، قد وصفه العلماء

بأنّ مدار الإسلام عليه ، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه ، أو نحو ذلك ، ثم ألتزم في هذه الأربعين أن تكون صحيحة ، ومعظمها في صحيحي البخاري ومسلم ، وأذكرها محذوفة الأسانيد ، ليسهل حفظها ويعم الانتفاع بها إن شاء الله تعالى ، ثم أتبعها بباب في ضبط ما خفي من ألفاظها .

وينبغي لكل راغب في الآخرة أن يعرف هذه الأحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت عليه من التنبيه على جميع الطاعات ، وذلك ظاهر لمن تدبره ، وعلى الله اعتمادي وإليه تفويضي واستنادي ، وله الحمد والنعمة وبه التوفيق والعصمة .

* * *

إنما الأعمال بالنيات

١ ـ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ أَبي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات وَإِنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى.

فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

رَوَاهُ إِمَامَا الْمُحَدِّثِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ بَرْدِزْبَهْ الْبُخَارِيُّ الْجُعْفِيُّ، وَأَبُو الْحُسَيْنِ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ بْنِ مُسْلِمٍ الْقُشَيْرِيُّ النَّيْسَابُورِيُّ في (صَحِيحَيْهِمَا) اللَّذَيْنِ هُمَا أَصَحُّ الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ.

بيان الإسلام والإيمان والإحسان

٢ ـ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَيْضاً ، قَالَ : بَيْنَما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعْرِ ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ ، وَلاَ يَعْرِفُه مِنَّا أَحَدٌ ، حَتّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسْلاَمِ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : « الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً » .

قَالَ : « صَدَقْتَ » .

فَعَجِبْنَا لَهُ ، يسألُهُ وَيُصَدِّقُه !

قَالَ : « فأَخْبِرْنِي عَن الإِيمَانِ » .

قَالَ : « أَنْ تُؤمِنَ باللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ، وَتُؤمِنَ بالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ » .

قَالَ : « صَدَقْتَ » .

قَالَ : « فَأَخْبِرْنِي عَن الإِحْسَانِ » .

قَالَ : « أَنْ تَعْبُدَ اللّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فإنْ لم تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ » .

قَالَ : « فأَخْبِرْنِي عَن السَّاعةِ » .

قَالَ : « مَا الْمَسْؤولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ » .

قَالَ : « فأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَاتِهَا » .

قَالَ : « أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في الْبُنْيَانِ » .

ثمَّ انْطَلَقَ ، فَلَبِثْتُ مَلِيّاً ، ثم قالَ : « يا عُمَرُ

أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ » .

قُلْتُ : اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قالَ : « فإِنَّهُ جِبْرِيلُ ، أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

أركان الإسلام

٣ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

« بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ، وَحَجِّ البيتِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

* * *

الأعمال بخواتيمها

٤ - عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحمن عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ، قالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ - وَهُوَ الصَّادِقُ المصْدُوقُ - : « إنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً نُطْفَةً ، ثمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إليه الْمَلَكُ ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ ، وَيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : بِكَتْبِ رِزْقِهِ ، وَأَجَلِهِ ، وَعَمَلِهِ ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ .

فَوَاللّهِ الّذِي لاَ إلَهَ غَيْرُهُ إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا .

وَإنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعَملِ أَهْلِ النَّارِ حَتّى ما يَكُونَ

بيْنَهُ وَبَيْنَهَا إلاّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجنَّةِ فَيَدْخُلُهَا » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

إبطال المنكرات والبدع

٥ ـ عَنْ أُمِّ الْمُؤمِنِينَ أُمِّ عَبْدِ اللَّهِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » .

* * *

الحلال بيّن والحرام بيّن

٦ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللّهِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ : « إِنَّ الْحَلاَلَ بَيِّنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ ، وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ .

وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ـ كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوْشِك أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ، أَلاَ وَإِنَّ حِمَى اللّهِ مَحَارِمُه .

أَلاَ وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ؛ أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

الدين النصيحة

٧ ـ عَنْ أَبي رُقَيَّةَ تَمِيم بْنِ أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .

قُلْنَا : لِمَنْ ؟

قَالَ : « للَّهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَلِرَسُولِهِ ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

حرمة المسلم

٨ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ .

فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلَامِ ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تعالى » .

رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ .

* * *

التكليف بما يستطاع

٩ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحمنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلَافُهُمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ »

رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ .

* * *

الاقتصار على الحلال الطيب

١٠ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : « إِنَّ اللّٰهَ تعالى طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إلاَّ طَيِّباً ، وَإِنَّ اللّٰهَ أَمَرَ الْمُؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فقَالَ تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً ﴾ ، وَقَالَ تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ » .

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّماءِ : يَا رَبِّ ، يَا رَبِّ ، وَمَطْعَمُه حَرَامٌ ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ ، وَمَلْبَسُه حَرَامٌ ، وغُذِيَ بالْحَرَامِ ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ ؟ .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

التورع عن الشبهات

١١ - عَنْ أَبِي مُحمَّدٍ الحسَنِ بْنِ عليّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِبْطِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَرَيحَانَتِه رضيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ».

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ والنَّسَائِيُّ، وقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

* * *

ترك ما لا يعني المسلم

١٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الترمِذِيُّ وَغَيْرُهُ هكَذَا.

* * *

كمال الإيمان

١٣ ـ عَنْ أَبِي حَمْزَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِه » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

حرمة دم المسلم وأسباب إهداره

١٤ ـ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رسولُ اللّٰهِ ﷺ : « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : الثَّيِّبُ الزَّانِي ، وَالنَّفْسُ بالنَّفْسِ ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

آداب إسلامية

١٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْه ، أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيراً أَوْ لِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

النهي عن الغضب

١٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : أَوْصِنِي .

قَالَ : « لَا تَغْضَبْ » فَرَدَّدَ مِرَاراً ، قَالَ « لَا تَغْضَبْ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

* * *

الأمر بالإحسان للمذبوح والمقتول

١٧ ـ عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

حسن الخلق

١٨ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بْنِ جُنَادَةَ ، وَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُعاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ » .

رَوَاهُ الترمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيث حَسَنٌ ، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ : حَسَنٌ صَحِيحٌ .

* * *

احفظ الله يحفظك

١٩ ـ عَنْ أَبي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : كُنْتُ خَلْفَ النَّبيِّ ﷺ يَوْماً ، فَقَالَ : « يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ ، إِذَا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللَّهَ ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ باللَّهِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ .

وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ ـ رُفِعَتِ الأَقْلَامُ ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ » .

رَوَاهُ الترمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

وَفِي رِوَايَةِ غَيْرِ التِّرْمِذيِّ : « احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ

أَمَامَكَ ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ ، وَاعلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَمَا أَصابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً » .

* * *

الحياء من الإيمان

٢٠ ـ عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو الأَنْصَارِيِّ الْبَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى : إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

* * *

قل آمنت بالله ثم استقم

٢١ ـ عَنْ أَبِي عَمْرٍو ـ وَقِيلَ : أَبِي عَمْرَةَ ـ سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! قُلْ لِي فِي الإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ .

قَالَ : « قُلْ : آمَنْتُ بِاللَّهِ ؛ ثُمَّ اسْتَقِمْ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

الاقتصار على الفرائض يدخل الجنة

٢٢ ـ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ إِذَا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوبَاتِ ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ ، وَأَحْلَلْتُ الْحَلَال ، وَحَرَّمْتُ الْحَرَامَ ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئاً ؛ أَأَدْخُلُ الْجَنَّة ؟

قَالَ : « نَعَمْ » .

رواهُ مُسْلِمٌ .

وَمَعْنى « حَرَّمْتُ الْحَرَامَ » : اجْتَنَبْتُهُ ، وَمَعْنى « أَحْلَلْتُ الْحَلاَلَ » : فَعَلْتُهُ مُعْتَقِداً حِلَّهُ .

* * *

الإسراع في الخير

٢٣ ـ عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْحَارِثِ بْنِ عَاصِمٍ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ للَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ للَّهِ تَمْلآنِ ـ أَوْ : تَمْلأُ ـ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاَةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ؛ كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو ، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا ، أَوْ مُوبِقُهَا » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

تحريم الظلم

٢٤ - عَنْ أَبِي ذَرٍّ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : « يَا عِبَادِي : إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً ؛ فَلَا تَظَالَمُوا .

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ .

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ .

يَا عِبَادِي : كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ .

يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا

أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ .

يَا عِبَادِي : إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي ، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً .

يَا عِبَادِي : لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، فَسَأَلُونِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ مَسْأَلَتَهُ ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ .

يَا عِبَادِي : إِنَّما هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ

أُوَفِّيكُمْ إِيَّاها ؛ فَمَنْ وَجدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

ذهب أهل الدثور بالأجور

٢٥ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَيْضاً ، أَنَّ نَاساً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللّهِ ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالأُجُورِ ؛ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي ، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ .

قالَ : « أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ ؟ إِنَّ لَكُم بكُلِّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةً ، وَكلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً ، وَأَمْرٍ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ ، وَنَهْيٍ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » .

قَالُوا : يا رَسُولَ الله ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ ؟!!

قَالَ : « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ ، أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ ؟ فَكَذلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ ، كَانَ لَهُ أَجْرٌ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

فضل الإصلاح بين الناس والعدل بينهم وإعانتهم

٢٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « كلُّ سُلاَمَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْها أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصلاَةِ صَدَقَةٌ ، وَتُمِيطُ الأذى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ » .

رَوَاهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

* * *

البر حسن الخلق

٢٧ ـ عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ : « الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

وَعَنْ وَابِصَةَ بْنِ مَعْبَدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ ، فَقَالَ : « جِئْتَ تسأَلُ عَنِ البِرِّ ؟ » قُلْتُ : نَعَمْ ؛ فَقَالَ : « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ؛ البِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي مُسْنَدَي الإِمَامَيْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، والدَّارميِّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ .

وجوب لزوم السنة

٢٨ ـ عَنْ أَبِي نَجِيحٍ العِرْباضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ ، قَالَ : (وَعَظَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ .

فَقُلْنَا : يا رَسُولَ اللّهِ كأنّها مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فأَوْصِنَا) .

قَالَ : « أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ ، فإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافاً كَثِيراً ، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمورِ ، فَإِنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » .

رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

ما يدخل الجنة

٢٩ ـ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قُلْتُ : يا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرني بعَملٍ يُدْخِلُني الجنَّةَ وَيُبَاعِدُني عنِ النَّارِ .

قَالَ : « لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَيَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ :

تَعْبُدُ اللَّهَ لاَ تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، وَتُقِيمُ الصَّلاَةَ ، وَتُؤتِي الزَّكَاةَ ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ » .

ثم قَالَ : « أَلاَ أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الخيْرِ ؟ : الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِىءُ الخطِيئَةَ كَمَا يُطْفِىءُ الْمَاءُ النَّارَ ، وَصَلاَةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ » ، ثم تَلاَ : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ﴾ حَتى بَلَغَ ﴿ يَعْمَلُونَ ﴾ .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذُرْوَةِ سَنَامِهِ » ؟ .

قُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللّهِ .

قَالَ : « رَأْسُ الأَمرِ الإِسْلَامُ ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ ، وَذُرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ » .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذلِكَ كُلِّهِ » ؟

فَقُلْتُ : بَلَى يا رَسُولَ اللّهِ .

فأَخَذَ بِلِسَانِهِ وقَالَ : « كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا » .

قُلْتُ : يا نَبِيَّ اللّهِ وَإِنَّا لَمُؤاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟!

فَقَالَ : « ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ - أَوْ قَالَ : « عَلَى مَنَاخِرِهِمْ » - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ » ؟ .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ .

حقوق الله تعالى

٣٠ ـ عَنْ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ جُرْثُوم بْنِ نَاشِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ حُدُوداً فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا ، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ.

* * *

الزهد الحقيقي

٣١ - عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ .

فَقَالَ : « ٱزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ ، وَٱزْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ بِأَسَانِيدَ حَسَنَةٍ.

* * *

لا ضرر ولا ضرار

٣٢ - عَنْ أَبي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ والدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهما مُسْنَداً . وَرَوَاهُ مُرْسَلاً عنْ عَمْرِو بنِ يَحْيَى عن أَبِيهِ عن النَّبِيِّ ﷺ - فَأَسْقَطَ أبا سَعِيدٍ ، ولهُ طُرُقٌ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً .

* * *

البينة على المدعي واليمين على من أنكر

٣٣ ـ عَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ : « لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ ، لادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، لكِنِ الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ هكَذَا ، وَبَعْضُهُ في (الصَّحِيحَيْنِ) .

* * *

النهي عن المنكر من الإيمان

٣٤ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ .

* * *

أخوة الإسلام

٣٥ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَحَاسَدُوا ، وَلَا تَنَاجَشُوا ، وَلَا تَبَاغَضُوا ، وَلَا تَدَابَرُوا ، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً .

المسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لا يَظْلِمُهُ ، وَلَا يَخْذُلُهُ ، وَلَا يَكْذِبُهُ ، وَلَا يَحْقِرُهُ .

التَّقْوَى هَا هُنَا » وَيُشِيرُ ﷺ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -

« بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المسلِمَ ، كلُّ المسْلِمِ عَلَى المسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ » .

رَوَاهُ مُسلِمٌ .

فضل الاجتماع

على تلاوة القرآن الكريم

وعلى الذكر

٣٦ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ .

وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ .

وَاللَّهُ في عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ .

وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ .

وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ ؛ إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ .

وَمَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ » .

رَوَاهُ مُسْلِمٌ بهذا اللَّفْظ.

* * *

فضل الله تعالى ورحمته

٣٧ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا ، عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، قَالَ : « إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى كَتَبَ الحسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ، ثُمَّ بيّنَ ذلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بحسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتبهَا اللّٰهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللّٰهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ .

وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللّٰهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللّٰهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي (صَحِيحَيْهِمَا) بِهذِهِ الْحُرُوفِ .

فانْظُرْ يا أخِي وَفَّقَنَا الله وإيَّاكَ إلى عَظِيمِ لُطْفِ الله تعالى ، وتأَمَّلْ هَذِهِ الألْفَاظَ .

وقولُه : « عِنْدَهُ » إشَارَة إلى الاعْتِنَاءِ بها .

وقَوْلُهُ « كامِلَةً » لِلتَّأْكِيدِ وشِدَّةِ الاعْتِنَاءِ بها .

وقال : في السَّيِّئَةِ الَّتِي هَمَّ بها ثُمَّ تَرَكَهَا : كَتَبَهَا الله عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً ، فَأَكَّدَهَا بِكَامِلَةٍ ، وإنْ عَمِلَهَا كَتَبَهَا سَيِّئَةً واحِدَةً ، فَأَكَّدَ تَقْلِيلَهَا بوَاحِدَةٍ وَلَمْ يُؤَكِّدْهَا بِكامِلَةٍ .

فَلله الحمدُ والْمِنَّةُ سُبْحَانَهُ لا نُحْصِي ثناءً عليه ـ وبِالله التَّوفِيقُ .

* * *

العبادة الخالصة لله تعالى
وسيلة القرب والمحبة

٣٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّه » .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

* * *

التجاوز عن المخطىء والناسي والمكره

٣٩ ـ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ ، رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَالْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُمَا .

❁ ❁ ❁

الدنيا وسيلة ومزرعة للآخرة

٤٠ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا ، قالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي ، فَقَالَ : « كُنْ في الدُّنْيا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ » .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ : إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ .

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .

* * *

علامة الإيمان

٤١ - عَنْ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ » .

حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، رَوَيْنَاهُ فِي كِتَابِ (الْحُجَّةِ) بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ .

* * *

سعة مغفرة الله تعالى

٤٢ ـ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ : « قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي .

يَا ابْنَ آدَمَ : لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ .

يَا ابْنَ آدَمَ : إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئاً لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً » .

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ : حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيح .

* * *

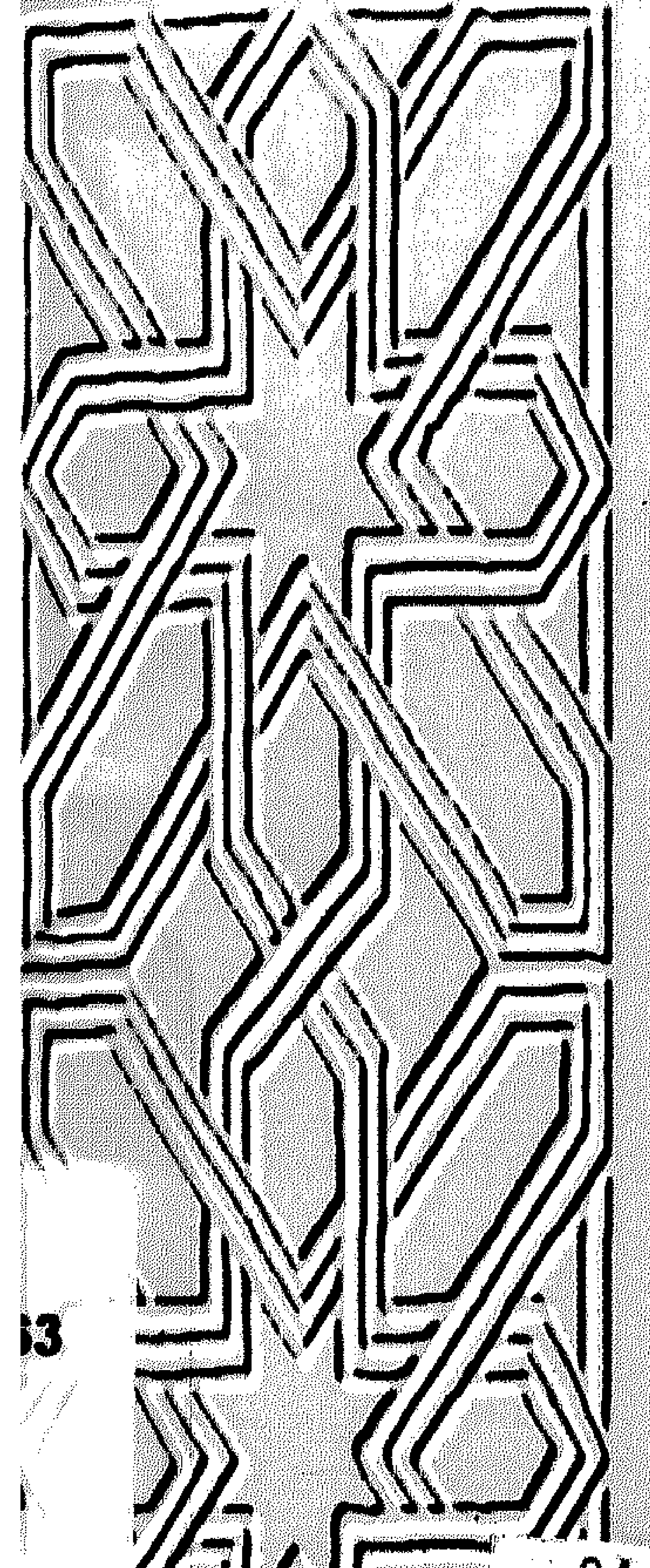
تصويب الأخطاء :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١١	ذالكم	ذلكم
١٥	٧	يوسائل	بوسائل
١٨	١١	أثماُ	آثماً
١٩	١١	لناس	الناس
٣٠	٣	شرتها	شرها
٣٠	٩	يتخلى	يخلو
٣٤	١٥	أ و	أو
٤٠	٤	خزاتنك	خزائنك
٤١	١	شئا	شيئاً
٤٤	١٦	ى يحبهم	يحبهم
٤٥	١٤	ممثلاً	ممتثلاً
٤٩	٢	وأعدائه	وأعداؤه
٤٩	٥	فأستجاب	فاستجاب
٥٢	٩	بحله	بملة
٥٣	٧	واالجراح	والجراح
٥٣	٨	اطمان	اطمأن

محتويات الكتاب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتاب الراية



** هذا الكتاب **

لقد كان ميلاد رسول الإنسانية «محمد صلى الله عليه وسلم» مطلع النور للعالم وكان ميلاد أمة ودولة وحضارة. فهذه مكة تستقبل وليداً .. صاحبت ولادته إرهاصات أن أمة جديدة قد ولدت سيتغير بها وجه التاريخ ..

كيف استطاع هذا الوليد أن يقيم دولة إنسانية تخلت بقيادته عن الفرقة والشتات والخصام والاقتتال إلى وحدة تقود وتسود؟

فى هذا الكتاب يلقى المؤلف أضواء على خلق رسول الإنسانية «محمد صلى الله عليه وسلم» وكيف استطاع بأخلاقه أن يقيم دولة إنسانية دانت لها الأراضين من أدناها إلى أقصاها.

وهذا الكتاب باكورة سلسلة كتاب الراية

شهرياً بإذن الله تعالى .

ال

محمد فكرى